

"الثقافة النفسية بين اليأس والتئيس...؟! "

www.arabpsynet.com/documents/DocSamarraiMentalCultureDespair.pdf

د. صادق السامرائي

أمريكا - العراق

alrahwan@yahoo.com



"... لقد عانينا في هذا الميدان، وقرر أن يترجل من قسره، وهذا خطأ حضاري، لأن قوة

المجتمعات البشرية، تتحقق بالمواساة والمواظبة وعدم اليأس، ويدور أننا نهاوى في وديان اليأس بسبب
الدق المواساة على نفوسنا حتى يضعف إصرارنا وتطفيئ عزمنا . وكمرأينا شعلة منوقدة وإذا هي
تخمد من كثرة ثاني أكسيد الكربون الذي يندفق من صدور الآخرين حتى تخرمونها من
أكسجين النورج والشووب والنماء....."

الثقافة النفسية عنصر مهم في بناء المجتمعات ، والوعي النفسي الإجتماعي له دور فعّال في فهم السلوك البشري ووضع
الخطط والبرامج والإجراءات اللازمة لإطلاق أقصى ما في الإنسان من طاقات إيجابية وتهذيب طاقاته السلبية وتصريفها
وفقا للمصلحة العامة.

وقد عانينا في مجتمعاتنا من الأمية النفسية لأسباب مقصودة ومعروفة ، ففي مدارسنا عشنا أعواما وعقودا في هذا الجهل
الذي ترتبت عليه تداعيات مريرة وضارة بالمجتمع. وأذكر في المرحلة الأولى الابتدائية ، كان معنا تلميذ تجاوز العاشرة من
العمر وقد رسب في الصف الأول الابتدائي أربعة مرات ، ولا أحد في المدرسة قد أدرك بأنه يعاني من تخلف عقلي بسيط
وعدم القدرة على التعلم ، وإنما كان المعلم يتعامل معه وكأنه مثل غيره فينتلقى منه العقوبة كل يوم.

أتذكر هذا المثل الحي الذي رافقني في المرحلة الابتدائية وغيره من الأمثلة التي كان ضحيتها التلاميذ ذوي القصور الذهني
والعوق المتنوع، وأفارنها بما أراه في العالم المتقدم ، حيث للمرشد النفسي والثقافة النفسية دور كبير في المدرسة ، ويتم
التركيز على الثقافة النفسية والوعي النفسي بصورة متواصلة ، وتقييم الحالات بدقة وتوضع البرامج الكفيلة بإستيعاب حاجاتها
والتعامل معها.

وذلك يعني أن البناء النفسي للإنسان ومنذ طفولته له الأهمية البالغة في صناعة المجتمع القوي والمدرّك أو العارِف.

وبما أن الهدف في بلداننا ربما هو إضعاف المجتمع ودفعه إلى حالة الإضطراب ، فإن الثقافة النفسية تكون محاصرة أو
ممنوعة ومهملة ، ويُنظر إليها بعين الإزدراء. وهذا الموقف السلبي ينطلق من السلوك السياسي القائم في المجتمع. فالتثقيف
والإرشاد النفسي وغيرها من النشاطات النفسية والإجتماعية لا تحظى إلا بقليل من الإهتمام الحكومي وتتم بجهود فردية في
أكثر الأحيان ، ولا توجد مشاريع وخطط مستقبلية ورؤية تنموية في هذا المضمار.

فالذي يدعو إلى ثقافة نفسية ووعي نفسي يعاني الأمرين , ويجد من يقف ضده حتى من زملائه , ذلك أن الموضوع لا يتخذ صفة عامة وإنما يتمرغ بالفردية ويمعن في الشخصية ,

وكان الذي يدعو إلى إشاعة الثقافة النفسية يريد لها لأغراض في نفسه وحسب.

وتساهم عللنا السلوكية في تحقيق أعلى درجات الإحباط ومنع التفاعل الإيجابي , فنحن لا نثمن جهود بعضنا ولا نفتخر ببعضنا , وإنما نحاول الحط من قيمة وجهود بعضنا البعض , ونرى أن الواحد منا يتمسك بالحالة حتى تنتهي وينتهي معها , ولا فرق في سلوكنا ما بين سلوك أي مستبد يجلس على كرسي الحكم ولا يغادره حتى يحصل الذي يحصل.

إن ما يجري في الدول المتقدمة غير الذي يجري عندنا, فلا يوجد مشروع أو جمعية أو نشاط إلا وتبادل الأدوار فيه العديد من المهتمين بالموضوع, فلا توجد مجلة رئيس تحريرها مدى الحياة أو جمعية أو أي مشروع. فهناك من يضع البذور ويؤسس للمنطلق العلمي الثقافي وحوله من يكون قادرا على التفاعل والتواصل, فالفرد لوحده لا يمكنه تحقيق الإستمرارية لأنه محكوم بظروف معروفة. فلا يمكن للموجة أن تتحكم لوحدها بالتيار الجاري وإنما لا بد من جميع الأمواج.

إن من أسباب إنهيار المشاريع النفسية في مجتمعنا أننا لا نمتلك روحية التفاعل الجماعي ولا نساند بعضنا البعض ولا عندنا إرادة العطاء والتبرع والإسناد المادي والمعنوي. وبصراحة... هناك ميل إلى عدم إحترام أفكار بعضنا, وإنما نميل إلى التسفيه والتنكيل وأحيانا السخرية. وهذا لا نجده واضحا في المجتمعات المتقدمة, حيث للفكرة قيمة وللجد والإجتهد والإبداع دور في الحياة وتقرير المستقبل, وهناك ما لا يحصى من المشاريع والأفكار النفسية التي يتم تفعيلها وإسنادها وتطويرها , وهي عبارة عن فكرة أو وجهة نظر قال بها أحد المهتمين بالمجتمع.

إن فقدان روحية التفاعل والتعاون والتفاهم هي التي تسببت في إنعدام المشاريع وإنهيار ما هو قائم منها.

كنت في الصين وتأملت كيف أن أبناء المجتمع يتفاعلون في تحقيق الإسناد النفسي والاجتماعي لبعضهم البعض, بأفكارهم التي يتعاونون على تحقيقها , كبناء مركز ترفيهي وإسنادي للمسنين والمحتاجين للرعاية النفسية.

وفي أمريكا تجد العديد من المراكز وهي عبارة عن أفكار قرر أصحابها تنفيذها فتعاون معهم من تعاون لتقديم الخدمات النفسية والإرشادية للمحتاجين إليها في المجتمع والمدرسة. ذلك أن المجتمع يعي أهمية الصحة النفسية وتأثيرها على السلوك ومسيرة الحياة في الحاضر والمستقبل.

ومن أسباب إنهيار مشاريعنا النفسية وتأييس روادها والقائمين عليها, هو عدم التطور وتواصل التفاعلات السلبية وعدم تثمين الجهود والإعتراف بالدور والقيمة وما قدمه الإنسان للمجتمع , وكذلك غياب الدعم الحكومي.

ومشكلتنا الحقيقية تكمن في أن آليات تفكيرنا ليست مجتمعية أو ذات أفق وطني وإنساني وإنما هي لا ذاتية ولا موضوعية, بل عبارة عن تيهان وإضطراب عشوائي لا يعرف إلى أين المسير.

لقد عانينا في هذا الميدان, وقرر أن يترجل من قرر, وهذا خطأ حضاري, لأن قوة المجتمعات البشرية تتحقق بالتواصل والمواظبة وعدم اليأس, ويبدو أننا نتهالو في وديان اليأس بسبب الدق المتواصل على نفوسنا حتى يضعف إصرارنا وتنطفئ عزيمتنا.

وكم رأينا شعلة متوقدة وإذا هي تخدم من كثرة ثاني أكسيد الكربون الذي يتدفق من صدور الآخرين حتى يحرمونها من أوكسجين التوهج والتتوير والنماء.

ونقف اليوم بحزن أمام الإعلان عن إنطفاء شعلة منيرة ذات دور فكري وثقافي متميز، حملها على مدى أكثر من عقدين إنسان يؤمن بأن **الثقافة النفسية قوة وقدرة حضارية**، ولا يمكن للمجتمعات أن تدخل عصرها إن لم تكن ذات عافية نفسية وفكرية وتعني قدراتها وتسخر طاقاتها لما هو أفضل.

إن لكل فكرة فكرة تعاكسها وتلك سنة الحياة وقوتها وجوهر بقائها، والإختصاصي النفسي المتوهج في البلاد العربية تواجهه المواقف اللاتحفيزية أو الإحباطية، ويجد أمامه مصدات ومعوقات متنامية عندما يفكر في أي مشروع للصحة والثقافة النفسية، بعكس ما هو حاصل في المجتمعات الأخرى.

ونحن المختصون بالعلوم النفسية نعمل من أجل أن نبعث الأمل في النفوس.

فكيف يغتالنا اليأس؟

وكيف يفترسنا التئيس؟

كنا نأمل أن تتحول مجلة " **الثقافة النفسية المتخصصة** " التي أعلن عن آخر عدد لها إلى مجلة إلكترونية بدلا من إغلاقها. ونرجو من **الأستاذ النابلسي** أن يعيد النظر في ذلك لأنه سيحرم المجتمع العربي من رافد ثقافي ضروري للسلامة السلوكية والوعي النفسي والإدراك المعاصر، في زمن إنطلقت فيه إرادة الإنسان العربي وراح يبحث عن مكان له في مسيرة البشرية المتوثبة نحو مستقبل يزدهم بالإضافات الإبداعية الخلاقة.

ربما يطول الحديث، وأرجو أن يكون قريبا إلى النفس والقلب، وفي الختام، لابد من تثمين جهود الأخوة جميعا، وأن نعترف بأهمية ما قدمه **الأستاذ محمد احمد النابلسي**، وندعوه إلى التواصل، فرسالته حضارية ولا يمكن للطريق الذي سلكه أن ينغلق. وأن تحمل راية رسالته أجيال عربية صاعدة، وتشق طرقا سريعة في آفاق الصيرورة الكبرى والنماء الحضاري الأعظم.

ومن الواجب الإشادة بالإشارات الفكرية النفسية الثقافية الخلاقة **للأستاذ يحيى الرخاوي** ودأبه الإبداعي لتيسير الثقافة النفسية، ودوره الحيوي للإرتقاء بالعقل على المستوى المهني والشعبي، فكتاباته ثرية بالمنطلقات الرائدة لتفعيل الوعي النفسي والوصول إلى جوهر السلوك البشري.

كما يجب أن نشتم جهود **الدكتور جمال التركي** وعزيمته المتوقدة الوثابة وجده وإجتهاده وإصراره ورعايته وإهتمامه.

وعلينا أن نتفاعل بإيجابية وروحية معطاء من أجل التتوير النفسي في مجتمعنا العربي، ونؤسس لثقافة نفسية عربية معاصرة. وما دامت العقول قادرة على التعبير الأمثل عن الطاقات الفكرية الوضاء، فأنا نحتاج لآليات عمل لإستثمارها لكي تكون ذات مساهمات بناءة في تأكيد صيرورة المجتمع المعاصر.

تحية لكل الزملاء الذين يبذلون جهودهم ووقتهم ويتفانون من أجل خير النفس وبناء أمة ذات عقل سليم.

مع خالص الود والتقدير وطابت جهودكم النبيلة السامية

*** **

”مؤاسلات الشبكة” على الفايس بوك

<http://www.facebook.com/Arabpsynet>

*** **

اكتوبر 2011: شهر ”السير العلمية”

نأمل منكم إثراء قاعدة بيانات ”السير العلمية” لشبكة العلوم النفسية العربية” بتكرم ارسال بيانات سيرتكم العلمية من خلال ارتباط النموذج التالي:

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

البحث في قاعدة بيانات السير العلمية

أطباء النفسانيون : www.arabpsynet.com/CV/default.asp

خصائيو و اساتذة علم النفس : www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp

*** **

تأخير

ARABPSYNET PRIZE 2011

جائزة البروفيسور محمد أحمد النابلسي

لشبكة العلوم النفسية العربية 2011

آخر أجل لقبول الأعمال الطبقنسية المرشحة للجائزة من 30 أكتوبر 2011

<http://www.arabpsynet.com/Documents/APNprize2011.pdf>

**** **

المجلة العربية للعلوم النفسية

Index APN eJournal

journal/index-apn.htm www.arabpsynet.com/apn

مجلد 33 - شتاء 2011

العلوم النفسية في التراث العربي الإسلامي

المشرف: د. محمد توفيق الجندي

أخصائي الطب النفسي بمستشفى الأمل - جدة ، السعودية

arabpsynet@gmail.com - drjundi@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 - 12 - 2011

ندعوا الزملاء للمشاركة في إثراء ملفاته الأعداد التالية

*** **

Arabpsynet

Subscribe To APN

<http://www.arabpsynet.com/Subs.asp>

Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultEng.ASP>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultFr.ASP>